

## تحديد الخير والشر

### حسن الحيارى

يعد هذا الموضوع من ابرز الموضوعات التي شغلت الانسان بحثا وتفكيراً، لما له من اثر مباشر على تشكيل الانماط السلوكية للانسان بما يتصل في ارضاء ذاته ونسج خيوط التعامل الاجتماعى، والسياسى، والاقتصادى مع الاخرين سواء أكانوا افراداً ام جماعات .

وقد غصت بطون الكتب بالمعلومات المتعددة المتباينة بشكل يتناسب مع الاختلاف الطبيعى الذى وشجت عليه النفس الانسانية فى نظرتها للحق والحقيقة، وسوف نتناول بعض الاراء المختلفة التى تمثل وجهة نظر الانسان فى عدة حقب تاريخية قبل ان نتطرق الى الخير والشر فى المفهوم الاسلامى .

يعتقد السوفسطائيون ان الخير كله يكمن فى اشباع الشهوات الانسانية دون الالتفات الى اى قانون يحول دون تلبية الشهوات الانسانية واشباعها .

«يرى السوفسطائيون ان القانون سنة الضعفاء والسواد الاعظم من الناس الذين ذهبوا الى تخويف الاقوياء وصددهم عن التفوق عليهم، وذهبوا الى ان الظلم بالذات فى ارادة التسامى على الاخرين، ولكن الطبيعة تقدم الدليل على ان العدالة الصحيحة تقضى بأن يتفوق الاحسن الاقدر، ان هذا الواقع فى كل موطن : فى الحيوان والانسان، فى الاسر والمدن، وان علامة العدالة سيادة القوى على الضعيف، واذعان الضعيف لهذه السيادة ... ومن ناحية اخرى الكل يطلب السعادة، فكيف يستطيع ان يعيش سعيدا من يخضع لأى شىء كان، قانونا ام انسانا؟ الا ان العدالة والفضيلة، والسعادة بحسب الطبيعة ان يتعهد فى نفسه اقوى الشهوات، ثم يستخدم ذكاهه، وشجاعته لارضائها مهما تبلغ من قوة ... ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوى، لذا نرى العامة تعنف الذين تعجز عن مجاراتهم لتخفى بهذا التعنيف ضعفها وخجلها من هذا الضعف ... وتشيد بالعفة لقصورها عن ارضاء شهواتها الارضاء التام وتطلب العدالة لجبنها وقعودها عن عظام الامور، ولوصح ان السعادة فى الخلو من الحاجات، والرغائب، لوجب ان ندعو الحجارة والاموات سعداء»، (١).

اما سقراط فيرى ان الانسان يحب الخير الذى يتجسد فى القوانين العادلة المطابقة للعقل والنظام الالهى .

«يرى سقراط ان الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل، ومطابقة للطبيعة الحققة، وهى صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الالهة فى قلوب البشر، فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهى ... والانسان يريد الخير دائما، ويهرب من الشر بالضرورة، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان ازاده حتما، اما الشهوانى فرجل جهل نفسه وخيره ... وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل». (٢).

يرى زعيم الفلسفة المثالية (افلاطون) ان الشر بذاته هو عالم الحس، كما ان الخير كله يتجسد في عالم المثل والافكار، اما بالنسبة الى الخير في عالم الحس فيرى افلاطون انه يتحقق في اتباع النظام وعدم الاسراف والتعامل مع الاشياء حسب حقائقها دون الانتقاص منها، ويبرز رأيه هذا في رده على السوفسطائيين .

«لا تقل ان السعادة تقوم في الشهوة القوية وفي اللذة بالاطلاق، وانما قل ان الانسان اسعد حالا في النظام منه في الاسراف، ولو اتبعنا حساب اصحاب اللذة بشرط ان تضبط الحساب، لوجدنا ان الحياة الفاضلة هي الذّحية... تمتاز بخفة الانفعال وضعف اللذة والالم، واللذة فيها اغلب وادوم، في حين ان الالم اغلب وادوم في حياة الرذيلة، فالقائلون باللذة لا يقدرّون مرمى قولهم، ولا يدرون ما يريدون... ان اللذات والآلام الرديئة هي التي تجتنب، وان النافع هو ما يجلب الخير، والضار ما يجلب الشر، والمنفعة التي توسم بالخير هي التي تكمل الشيء وفق حقيقة هذا الشيء، والضرر الذي يوسم بالشر هو الذي ينتقص الشيء او يقضى عليه... فليس الاختيار اخيارا باللذة، بل بالخير، وليس اشراراً بالالم بل بالشر...» (٣)

ان الفيلسوف بروتاغوراس (Protagoras) يعتقد ان لكل انسان الحق في ان يحدد لنفسه ما هو خير، وما هو شر، وفي ضوء هذا الاعتقاد، قد يكون الخير بالنسبة الى انسان ما، شرا الى انسان آخر...» (٤)

وقد رأى لفيف من الفلاسفة انه لا يوجد بذور للخير او للشر، حيث ان الانسان يستطيع ان يحصل على ما يريد بأى وسيلة ممكنة لديه، وانه لا وجود للقوانين الاخلاقية، ومن جملة من نادى بهذا الاعتقاد : كالكس (Calicles)، واشيسديمس (Esthydemus) وثراسيماجاس

وهناك بعض الفلاسفة ذهبوا الى الاعتقاد بأن ما هو خير فى بعض الظروف، قد يكون شرا فى ظروف اخرى، اى انه لا يوجد فصل تام بين ما هو خير، وما هو شر، ولكن الظروف، او طبيعة الظرف هى التى تحدد ذلك - وليس نوعية العمل او السلوك - ومن ابرز من نادى بهذا التوجه الفيلسوف الامير كى جون ديوى . (٦)

وهناك من اعتقد بوجود بعض الوسائل الثابتة، والمعتمدة والصالحة لكل زمان ومكان فى قياس كل من الخير والشر بدقة كاملة، ويشيرون بذلك الى التوصيات العشرة الموجودة فى كتاب التوراة المقدس . (٧)

وفى خضم تلك الملابس، والتأملات، والتكهنات ، والتخرصات والمعلومات المتغيرة والمتباينة التى جاء بها الفكر الانسانى حول هذا الموضوع بالغ الاهمية، لما يترتب عليه من انعكاسات نفسية، واجتماعية، وفكرية ومصيرية فى حياة الانسان ، فاننا لا بد ان نعطف بنظرنا الى النور السماوى المبين لنرى حقيقة بذور الخير والشر، وجميع ما يؤدى الى منابعتها من اجل نبت الشر وجذوره، والالتفاف حول الخير واجناده.

ان الحق تبارك وتعالى اخبرنا فى كتابه الحكيم ان بداية نشوء الشر بالنسبة للانسان ظهرت الى حيز الوجود عندما رفض الشيطان ان يسجد لسيدنا آدم عليه السلام، وخالف اوامر الجبار سبحانه وتعالى متذرعاً باسباب واهية تتم عن جهله بحقائق الامور بشكل عام، وعدم فهمه لحقيقة الله سبحانه وتعالى بشكل خاص، ودليل ذلك يبدو واضحاً فى قوله تعالى :

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من السّٰجدين قال ما منعك الا

تسجد اذ أمرتك قال انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من  
طين (٨)

قال تعالى :

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى  
واستكبر وكان من الكافرين (٩) .

وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عبده آدم عليه السلام بالعداوة العاتية  
التي يكنها الشيطان لادم وذريته من بعده لكى لا يكون هدفا هو وذريته  
للشيطان وجنده، ويبدو ذلك فى قوله عز من قائل :

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا  
يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة  
فتشقى (١٠) .

وقد استطاع الشيطان بطرقه واساليبه المتنوعة ان يغوى سيدنا آدم  
وزوجه ويكون سببا فى اخراجهما من الجنة وهبوطهما الى الارض،  
ولم يكتف عدو البشرية بذلك بل اخذ يتوعد ويتهدد ان يغوى ذرية آدم  
ويسوقهم الى طرق الضلال والهلاك، بعد ان طلب من الله سبحانه  
وتعالى ان يجعله من المنظرين، وتبدو انواع وصور التهديد التى اطلقها  
الشيطان لآدم وذريته فى الآيات التالية :

قال تعالى :

قال فيما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم  
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم  
ولا تجد أكثرهم شكّرين (١١) .

قال تعالى :

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال اأسجد  
لمن خلقت طينا قال أرايتك هذا الذى كرّمت علىّ لئن أخرتن

الى يوم القيمة لأحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب فمن  
تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من  
استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك  
وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا  
غروراً (١٢) .

قال تعالى :

قال يا ابليس مالك الا تكون مع الشجدين قال لم اكن  
لأسجد لبشر خلقتة من صلصل من حما مسنون قال فاخرج  
منها فائك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب  
فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم  
الوقت المعلوم قال رب بما أغويتنى لأزيتن لهم فى الارض  
ولأغويتهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين (١٣) .

يبدو بوضوح من الآيات السابقة التهديد والوعيد الذى اطلقهما  
الشيطان لذرية آدم مدلا بذلك على عداوته الابدية للانسان فى  
مختلف العصور والازمان، وانه سيتبع كل ما فى وسعه، وما عنده من  
اساليب ليجنبهم طريق الحق والخير المتمثل فى اتباع الصراط  
المستقيم، ويزين لهم الحياة الدنيا بجميع محاسنها وزخرفها ليكونوا  
من الضالين عن الحق والخير .

ان الرحمن الرحيم، برحمته الواسعة بعباده لم يكلمهم لانفسهم ان  
يتعرفوا على بذرة الشر، ومصدر العداوة للانسانية، ودروب الشر  
المتجسدة فى الشيطان ونهجه وطرقه، بل انه خاطب الانسان فى اكثر  
من موقع فى كتابه المكنون موضحا عداوة الشيطان السرمدية للانسان ،  
وكشف طرقه واحاييله فى اغواء الانسان ويتضح ذلك فى الايات  
الكريمة التالية :

قال تعالى :

يُبْنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَهْمَاهُ إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٤).

قال تعالى :

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٥).

قال تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦).  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٧).

قال تعالى :

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ  
إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (١٨).

قال تعالى :

وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا  
خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٩).

قال تعالى :

أَلَمْ أَعْهَدَ إِلَيْكُمْ يَبْنَى آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ  
مُبِينٌ (٢٠).

ومما يؤسف له، بل الذى تشيب له النواصي، ويندى له جبين البشرية أسفا وخجلا أن يجهل معظم الناس، هذه العداوة المتأصلة بين الشيطان والانسان، وبالذات الذين وصفوا أنفسهم، وعتهم الناس

بأنهم حكماء البشر واكيسهم، وفي الواقع انهم ساعدوا بشكل قوى ومباشر الشيطان وجنده ومكنوهم على ان يسيطروا على عقول البشر، ليصبحوا تبعا للشيطان، وجندا فى حزبه ليؤول مصيرهم الى الدمار والهلاك .

قال تعالى :

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظلمين بدلا (٢١).

وهناك حقيقة لا بد من الاشارة اليها فى هذا المقام، وهى ان الشيطان وقبيله ليس لهم سلطان وقوة تأثير الا على الذين استجابوا لهمزاتهم فى تزين الحياة الدنيا فى أعينهم، واقدامهم على اقتراف الذنوب والخطايا، واجتياز الحدود الأخلاقية والضوابط الاجتماعية التى خطها الحق سبحانه وتعالى من اجل اشباع رغباتهم واهوائهم الدنيوية، ومن هذه الشهوات استطاع الشيطان ان يحتنكهم ويضمهم الى حزبه، ويصبحوا فئة ضالة مضلة من جنده، اما الذين استجابوا للنور السماوى المبين، واخلصوا نياتهم واعمالهم للحق سبحانه وتعالى، فليس للشيطان عليهم اى سبيل ودليلنا لذلك يتجسد فى قوله عز من قائل فى الايات التالية :

قال تعالى :

قال رب بما أغويتنى لأزیننّ لهم فى الارض ولأغویننهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علىّ مستقيم انّ عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوین وانّ جهنّم لموعدهم اجمعين (٢٢) .



قال تعالى :

قال أرييتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيمة لأحتنكن ذريته الا قليلاً قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزأؤكم جزاءً موفوراً . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غروراً ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً (٢٣) .

وحسبنا ان نعلم قبل فوت الاوان، ويوم لا ينفع فيه توبة ولا ندم ان المداهنة، والمراوغة، ونقض العهود والمواثيق ، والتخلى فى لحظة الشدة، جميعها من خصائص وصفات عدو البشرية الآسن ابليس عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين، ان القرآن الحكيم يقص علينا تخلى الشيطان عن المشركين فى يوم بدر، كما انه سوف يتخلى عن جميع اتباعه وجنوده من الانس والجن فى اليوم الآخر، وانه سوف يعترف لهم بالحقيقة، وهى ان الله سبحانه وتعالى وعدهم وعد الحق، بينما وعده لهم كان باطلا .

اما بالنسبة الى تخليه عن مشركى معركة بدر فيبدو ظاهرا فى قوله

تعالى :

واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وائى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبه وقال انى برئىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب (٢٤) .

اما تخليه عن اتباعه وجنده فى اليوم الآخر فيظهر فى قوله عز من قائل فى الآية الكريمة التالية:

قال تعالى :

وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق  
ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا أن  
دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا انفسكم ما أنا  
بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ائى كفرت بما أشركتمون من  
قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم (٢٥) .

وأى شر هذا الذى يفوق اتباع سيد الاشرار وما تؤدى اليه هذه  
التبعية، حيث سيكون المصير فى نار جهنم والخلود فيها .

بعد ان عرفنا ان بذرة الشر وجميع سبله وانواعه تكمن فى الابتعاد  
عن الصراط المستقيم، والاعراض عن النور السماوى المبين، واتباع  
عدو الانسانية الا شر الذى قطع عهدا على نفسه فى أن يبذل قصارى  
جهده مستخدما فى ذلك كافة احاييله الشيطانية ليحول بين الانسان  
والصراط المستقيم، لأن الصراط المستقيم يمثل الخير بالنسبة  
للانسان، لذلك فان الشيطان حريص على بذل ما فى وسعه بهدف  
ابعاد الانسان عن الخير ومنابعه .

ان الحق تبارك وتعالى عندما امر بهبوط آدم وحواء الى الارض،  
لم يكل الانسان فى التعرف على حقائق الامور، وبذور الخير والشر،  
لأنه خلق الانسان ويعلم علم اليقين قدرات هذا المخلوق الضعيف  
انها لا يمكن بأية حال من الاحوال ان تصل به الى سدرة الصواب دون  
المدد الالهى، لذلك فان الرحمن الرحيم وعد سيدنا آدم وذريته انه  
سيبعث لهم الهدى السماوى المبين الذى يقودهم الى طريق الحق  
والسؤدد الذى يفوح بنسائم الخير، والبركة، والأمن ، والطمأنينة، ودليل  
ذلك يبدو جليا مشرقا فى قوله تعالى :

قلنا اهبطوا منها جميعا فإمّا يأتينكم منى هدى فمن تبع  
هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٦).

قال تعالى :

قال اهبطا منها جميعا بعض عدوّ فإمّا يأتينكم منى  
هدى فمن اتّبع هداى فلا يضلّ ولا يشقى (٢٧) .

اما بالنسبة الى كيفية وطرق وصول هذا النور السماوى المبين الى  
الانسان، فان البارى سبحانه وتعالى بعث المرسلين تترّا التبليغ الناس  
رسالات ربهم واقامة الحجّة عليهم، لكى لا يكون لهم على الله حجة فى  
يوم البعث والحساب .

قال تعالى :

يبنى آدم إِمّا يأتينكم رسل منكم يقصّون عليكم آيتى فمن  
اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٨).

وبعد ان انتهى المدد الرسالى بخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن  
عبدالله صلى الله عليه وسلم ، فان الحق سبحانه وتعالى قد أتمّ نعمته  
على البشرية جمعاء عن طريق تكملة الدين الاسلامى ليغدو ديننا شاملا  
للخير، والرشد، والهدى وصالحا للناس فى كل زمان ومكان، ويبدو  
ذلك جليا مشرقا فى الآيات التالية :

قال تعالى :

الْمَ ذُلكَ الْكُتُبِ لَا ريبَ فِيهِ هدىً لِّلْمُتَّقِينَ (٢٩).

قال تعالى :

الرَّ كُتُبِ أَنْزَلْنَاهُ الْيَكِ لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ  
بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٣٠) .

وحسبنا ان نعلم ان مصير اولئك الذين اتابوا واستقاموا على  
الصراط المستقيم فى اتباعهم ما أوحى اليهم من عند ربهم عن طريق

رسله، سيكون لهم الفوز العظيم في دار السلام والخلود.  
وهناك حقيقة سامقة لا بد من الاشارة اليها في هذا المقام، وهي  
ان الحق سبحانه وتعالى لو اراد لجمع كافة الناس على الهدى ودروبه  
قصراً، ولكن الحق تبارك وتعالى وضّح الخير وسبله، كما وضّح الشر  
وسبله، واعطى الانسان حرية الاختيار في دار الابتلاء والفناء ليؤول  
مصيره في دار الخلود في ضوء ما قدمت يداه في دار الاختيار والفناء.  
قال تعالى :

وَإِنْ كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا  
فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بَأْيَةٌ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ  
لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣١) .  
قال تعالى :

وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَأَمَّنْ مِنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تَكْرَهُ  
النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣٢) .  
اما بالنسبة الى توضيح الخير وسبله ، والشر وطرقه، فيبدو واضحاً  
منيراً في قوله عز من قائل :

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرِّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ  
بِالطَّاعُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى  
لَأَنْقِصَامِ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٣) .  
قال تعالى :

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ  
فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (٣٤).

والذى يوجب اللوعة ، ويشير الأسى ، ويهيج الأحزان ان يرى  
الانسان ابناء جنسه قد آثروا الحياة الدنيا على الآخرة عن طريق  
انغماسهم في ملذات الحياة الدنيا واشباع رغباتهم الشهوانية دون اية

كوابح او ضوابط تحد من اندفاعهم الجارف وراء ملذاتهم ليغدو تبعا وجندا الى عدو الانسانية، مبتعدين كل البعد عن الرحمن الرحيم الذى خلق وسوى، وبعث للانسان نوره المبين ، وفتح باب توبته ورحمته للناس أجمعين حتى للذين اسرفوا على انفسهم فى عمل المعاصى والآثام، ولا حول ولا قوة الا بالله وانا اليه راجعون.

قال تعالى :

قل يُعبادى الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً اِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٣٥) .  
انها الرحمة الواسعة التى تسع كل معصية، كائنة ما كانت وانها الدعوة للاوبة ، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين فى تيه الضلال، دعوتهم الى الامل والرجاء والثقة بعفو الله، ان الله رحيم بعباده، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهن ومن خارجه، ويعلم ان الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، يجلب عليهم بخيله ورجله، وانه جاد كل الجد فى عمله الخبيث ويعلم ان بناء هذا المخلوق الانسانى بناء واه، وانه مسكين سرعان ما يسقط اذا افلتت من يده الحبل الذى يربطه والعروة التى تشده، وان ما ركب فى كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا او هناك ، ويوقعه فى المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم ...

يعلم الله - سبحانه - عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له فى العون، ويوسع له فى الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيئ له جميع الوسائل ليصلح خطاه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد ان يلج فى المعصية، ويسرف فى الذنب، ويحسب انه قد طرد وانتهى امره، ولم يعد يُقبل ولا يُستقبل، فى هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندى اللطيف:

«قل يا عبادة الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، ان الله يغفر الذنوب جميعاً، انه هو الغفور الرحيم» .  
 وليس بينه - وقد اسرف في المعصية، ولج في الذنب، وابق عن الحمى، وشرذ عن الطريق - ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية، ليس بينه وبين هذا كله الا التوبة، التوبة وحدها، الاوبة الى الباب المفتوح الذى ليس عليه بواب يمنع، والذى لا يحتاج من يلج فيه الى استئذان» (٣٦)

## هوامش

- (١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٩٣ - ٩٤ .
- (٢) المصدر السابق، ص ٥٣ .
- (٣) المصدر السابق، ص ٩٤ - ٩٥ .
- 4) Ferm, Vergilius, ed. History of Philosophical Systems, Philosophical Library. New York, 1950, pp. 150.
- 5) Broudy, Harry S. Building a Philosophy of Education. Prentice - Hall, Englewood Ciffs, N.J. 1954. PP. 66.
- 6) Russell, Bertrand. A History of Western Philosophy: Simon and Schuster, New York, 1945. PP. 33.
- 7) Runes, Dagobert D. Dictionary of Philosophy. Little Field, Adams, and Company, Paterson, N.J. 1962. PP. 45.

- (٨) سورة الاعراف، آية ١١ - ١٢ .
- (٩) سورة البقرة، آية ٣٤ .
- (١٠) سورة طه، آية ١١٦ - ١١٧ .
- (١١) سورة الاعراف، آية ١٦ - ١٧ .
- (١٢) سورة الاسراء، آية ٦١ - ٦٤ .
- (١٣) سورة الحجر، آية ٣٢ - ٤٠ .

- (١٤) سورة الاعراف ، آية ٢٧ .
- (١٥) سورة فاطر ، آية ٦ .
- (١٦) سورة البقرة ، آية ١٦٨ .
- (١٧) سورة البقرة ، آية ٢٠٨ .
- (١٨) سورة الاسراء ، آية ٥٣ .
- (١٩) سورة الانعام ، آية ١٤٢ .
- (٢٠) سورة يس ، آية ٦٠ .
- (٢١) سورة الكهف ، آية ٥٠ .
- (٢٢) سورة الحج ، آية ٣٩ - ٤٣ .
- (٢٣) سورة الاسراء ، آية ٦٢ - ٦٥ .
- (٢٤) سورة الانفال ، آية ٤٨ .
- (٢٥) سورة ابراهيم ، آية ٢٢ .
- (٢٦) سورة البقرة ، آية ٢٨ .
- (٢٧) سورة طه ، آية ١٢٣ .
- (٢٨) سورة الاعراف ، آية ٣٥ .
- (٢٩) سورة البقرة ، آية ١ - ٢ .
- (٣٠) سورة ابراهيم ، آية ١ .
- (٣١) سورة الانعام ، آية ٣٥ .
- (٣٢) سورة يونس ، آية ٩٩ .
- (٣٣) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .
- (٣٤) سورة الانعام ، آية ١٠٤ .
- (٣٥) سورة الزمر ، آية ٥٣ .
- (٣٦) في ظلال القرآن ، الجزء الخامس ، ص ٣٠٥٨ .

